«موشحات» غادة شبير: المحلية.. الطريق للعالمية

«السباحة بعكس التيار»...

هكذا كان الوصف الذي وسم دائماً غناء غادة شبير، لأن هذه الفنانة اختارت في اطلالاتها الغنائية (على ندرتها) خوض مجال الغناء من باب الهواية التي تسمح لها بتقديم غناء يحترم الذوق العام ويرتقي به، بدلاً من سلوك طريق الاحتراف بفن استهلاكي، قد يضمن لها ربما الثروة والشهرة والنجومية، لكنه بالمقابل يجردها من قناعاتها، ويسهم في تشويه اصالة الفن الغنائي العربي، كما يفصله عن تراثه المتعدد الاشكال والقوالب، ويحنطه في قالب اوحد (الطقطوقة)، بعدما تم افراغها من كل مضامينها الفنية الحقيقية، وهذا بالطبع ما رفضته غادة شبير منذ البداية، وما زالت مستمرة في رفضه، اولاً بصفتها المهنية كاستاذة تدرّس الاجيال الصاعدة علوم الغناء والموسيقى، وثانياً كفنانة ومطربة ملتزمة بنهج الاصالة في كل ما تقدم.

وبفضل صواب الرؤية عند غادة شبير، احسنت التدبير، فنجحت في تأكيد اختياراتها، حيث سارعت، ومنذ البداية، الى التحرر من قيود قد تلزمها تقديم ما لا تقتنع به وترفضه، وأهم هذه القيود، الحاجة المادية التي تستتبعها بالتأكيد «طموحات» متعددة، منها بلوغ الشهرة والنجومية او ما شابههما من اهداف تحددها مسبقاً كل وافدة في هذا الزمان الى عالم الغناء، وتبتغي تحقيقها بالسرعة القصوى.

غادة شبير نزعت منذ بداية المسار هذه «الالغام» من طريقها بأن تحصنت بالعلم الموسيقي - الغنائي، وبعد نيلها الشهادة العليا، التحقت كاستاذة لتدريس علمها في جامعة الروح القدس - الكسليك، والى جانب التدريس اعطت من وقتها في مجال البحث الاكاديمي، وبذلك اكتسبت (ولو للحد المعقول) الحصانة ضد الحاجة... ومن ثم، بدأت بالتفرغ لاثبات وجهة نظرتها الفنية المعلنة وبأن الدوام للعلم والثقافة والاصالة، وان مفهوم «النجومية» السائد اليوم مجرد بريق مزيف ومؤقت وقابل للانطفاء في اي لحظة، وان الفن الغنائي - الموسيقي الاصيل والمجرد والبعيد عن حسابات الربح والخسارة بالمنطوق المادي، هو الفن الذي تكتب له الاستمرارية.

غادة شبير اكدت صدق هذه الثوابت الغائبة منذ سنين عن اذهان الكثيرين.. لذلك عندما اطلقت ألبومها «موشحات» وأعادت من خلاله إحياء الغناء التراثي في اطار عزف مصاحب متطور يحافظ على الروح ولا يمس الجوهر، فحصدت النجاح، وفازت بجائزة «بي بي سي اوورلدز العالمية عن منطقة الشرق الاوسط وشمال افريقيا».

.. وعودة الى ما قبل الشهرين تقريباً، حيث كنا قد كتبنا في هذه الزاوية تحديدا، وتحت عنوان «غادة شبير.. ونصيحة جورج جرداق» (الكفاح العربي - العدد رقم ٣٨٨٦) ان الفوز سيكون في مسابقة بي بي سي العالمية، من نصيب غادة شبير.

هذا الترشيح لم يكن طموحاً يراودنا.. او أمنية تمنينا تحققها.. او تعصباً وانحيازاً لفنانة من بلدنا، وانما جاء نتيجة لمتابعة واستماع دقيقين للاغنيات التي تضمنها «موشحات» وغنتها غادة في حفل مسرح «المدينة» يومذاك، حيث وجدنا في طيات «موشحات»، احياءً متميزاً لتراث غنائي - موسيقي عربي، واستنهاضاً فعلياً لقالب غنائي عربي - ثري بالشعر والايقاعات والموسيقى.

كل التهاني للفنانة اللبنانية غادة شبير بالفوز، ولعل هذه الجائزة تضيء طريق كل الساعين الى العالمية، فيقتنعون بأن بلوغها يمر في طريق اوحد اسمه «اصالة الفنون المحلية».

عبد الرحمن سلام